دلالة السياق في القرآن الكريم ـ سورة يوسف أنموذجاً ـ

د. سند محمد عبد القوي
جامعة عدن – اليمن –

الملخَّص:

يتناول البحث دراسة سورة من سور القرآن الكريم هي سورة يوسف محاولاً تتبع الآيات في هذه السورة وبيان أهمية دلالة السياق في تحديد المعنى وتوجيهه فيها، وقد عني هذا البحث بالجانب التطبيقي، وحاول أن يؤسس منهجه على تحليل النصوص تحليلاً سياقياً. متخذاً من هذه السورة ميداناً للتطبيق والدراسة.واعتمد البحث على المنهج الوصفي مع إفادته من الدراسات اللسانية الحديثة في مجال نظرية السياق، بالقدر الذي يقتضيه البحث مع مراعاة مناسبة ذلك لخصوصية النص القرآني.

وقد قسم البحث على ثلاثة مباحث يسبقها التمهيد والتقديم وتتلوها الخاتمة، تناول التمهيد إعجاز القرآن الكريم واهتمام العلماء بدراسته، ومفهوم السياق ودلالته في المعاجم العربية وأهميته في الدراسات اللغوية الحديثة، وجاءت الدراسة في ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول- درس دلالة السياق في اختيار نوع المفردات وصيغها، مبيناً الإعجاز البياني للقرآن الكريم في إيثار لفظ على لفظ أو صيغة على صيغة.

المبحث الثاني- درس دلالة السياق في نفي الترادف عن الألفاظ الذي قيل إنها مترادفة مبيناً الفروق الدلالية بينها.

المبحث الثالث- تناول دلالة السياق في اختيار المفردة من حيث الدلالة مبيناً المشترك اللفظي، وإزالة الغموض عنه، ودرس التضاد في إطار الألفاظ المشتركة؛ لالتقائهما في باب تعدد المعنى للفظ الواحد.

Abstract

This research deals with the study of one Surah Chapter of the Holy Quran Surah Yusuf through which the researcher is trying to trace the verses in the Surah and the context in determining the meaning.

The research is divided into an introduction and three research objectives followed by a conclusion.

The introduction dealt with the miracles of the Holy Quran and the interest of scientists studying it ,the concept of context and its significance in Arabic dictionaries and its importance in modern linguistic studies.

Research objective No. one: in this objective, the researcher studied the significance of context in selecting the types of words and their inflictions showing the miracles of the Holy Quran in these words in selecting one form rather than the other.

Research objective No. two: in this objective ,the researcher studied the significance of the context in showing the difference between different synonyms .

Research objective No. three: in this research objective, the researcher studied the significance of context in choosing the words according significance .He also studied the antonyms of the words that bear two different antonymous meanings .

التمهيد:

رع العرب بالفصاحة والبلاغة في اللغة، فاقتضت حكمة الله عز وجل أن تكون معجزة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين فيما برع فيه قومه، فأنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم ليكون غاية في الإعجاز في شكله ومضمونه.

وقد دفع هذا الإعجاز علماء العربية إلى البحث عن أسراره، فعكفوا على دراسته، وبيان إعجازه، كاشفين العلاقة بين الكلمة ودورها في السياق القرآني. يدلنا على هذا قول عبد القاهر الجرجاني: «لكل نوع من المعنى نوع من اللفظ وهو به أخص وأولى، وضروب في العبارة هو بتأديته أقوم»[1].

وللسياق موقع مهم في الدراسات اللغوية المعاصرة، فقد توصل الدارسون المعاصرون إلى أن دلالات الألفاظ تظل مبهمة قابلة لأكثر من تأويل، ولا تظهر دلالاتها إلا من خلال وضعها في سياق معين، فإن «أي دال في لغة ما لا بد أن تتعدد مدلولاته من سياق إلى آخر»[2]

وقد أشار فندريس إلى ذلك بقوله: «الذي يُعين قيمة الكلمة ... هو السياق إذ إن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق- أيضاً- هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية»[3].

السياق في معاجم اللغة:

جاء في العين: سُقْتُه سَوْقاً ورأيتُه يسوقُ سِياقاً أي ينزعُ نَزْعاً يعني الموتَ[4] .

وفي معجم مقاييس اللغة السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْوُ الشَّيء. يقال ساقه يسوقه سَوقاً. والسَّيِّقة: ما استيق من الدوابّ. ويقال سقتُ إلى امرأتي صَدَاقها، وأَسَقْتُهُ. والسُّوق مشتقّةٌ من هذا، لما يُساق إليها من كلِّ شيء، والجمع أسواق[5].

وفي تهذيب اللغة، تقول : رأيتُ فلاناً يَسُوق سُوقاً ، أي : يَنزع نَزْعاً ، يعني الموتَ[6].

وفي الصحاح يقال: وَلَدَتْ فلانةُ ثلاثةَ بنينَ على ساقٍ واحد، أي بعضُهم على إثر بعض، ليست بينهم جارية[7].

وفي أساس البلاغة ومن المجاز: ساق الله إليه خيراً. وساق إليها المهر. وساقت الريح السحاب. وأردت هذه الدار بثمن، فساقها الله إليك بلا ثمن. والمحتضر يسوق سياقاً. وفلان في ساقة العسكر: في آخره وهو جمع سائق كقادة في قائد. وهو يساوقه ويقاوده، وتساوقت الإبل: تتابعت. وهو يسوق الحديث أحسن سياق، و إليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده[8].

وفي لسان العرب: السَّوق معروف ساقَ الإبلَ وغيرَها يَسُوقها سَوْقاً وسِياقاً وهو سائقٌ وسَوَّاق شدِّد للمبالغة ، وقد انْساقَت وتَساوَقَت الإبلُ تَساوُقاً إذا تتابعت والسِّياق المهر ....قيل للمهر سَوْق لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهراً لأَنها كانت الغالبَ على أموالهم وضع السَّوق موضع المهر وإن لم يكن إبلاً وغنماً ...وأَساقه إبلاً أَعطاه إياها يسُوقها ... وساقَ بنفسه سياقاً نَزَع بها عند الموت تقول رأيت فلاناً يَسُوق سُوُقاً أي يَنْزِع نَزْعاً عند الموت... ويقال فلان في السِّياق أي في النَّزْع ... والسِّياق نزع الروح وأَصله سِواق فقلبت الواو ياء لكسرة السين وهما مصدران من ساقَ يَسُوق[9].

ومن عرض مادة سوق في معاجم العربية يتضح لنا دلالتها على التتابع والتناسق، وتجميع الأشياء المتفردة ودفعها في الطريق الصحيح وفق نظام محدد إلى الغاية المقصودة .

المبحث الأول- دلالة السياق في اختيار المفردة:

تكمن أهمية السياق في اختيار المفردات التي تؤدي المعنى أفضل أداء، ويبدو ذلك على مستوى اللفظ أو الصيغة باختيار لفظ آخر أو صيغة أخرى في موضع مشابه، أو اختيار لفظ أو صيغة من بين ألفاظ أو صيغ قد نظنها متشابهة أو متقاربة في معانيها. فكل كلمة تقع في مكانها المحدد الذي لا تصلح فيه كلمة أخرى، وتضم إلى غيرها من الكلمات، وتتحد لها كل معطيات عوامل السياق المختلفة في إظهار الدلالة وتحديدها في وقت واحد[10].

اختيار لفظ دون آخر:

قدَّ:

القاف والدال أصلٌ صحيح يدلُّ على قَطْعِ الشيء طولاً، ثم يستعار. يقولون: قَدَدْتُ الشَّيء قدًّا، إذا قطعتَه طولاً أقُدُّه، ويقولون: هو حسَنُ القَدّ، أي التقطيع، في امتدادِ قامته[11].

وقد ذهب إلى ذلك ابن جني في الخصائص في باب تقابل الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فيقول: «ومن ذلك القد طولاً، والقط عرضاً. وذلك أن الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعاً له من الدال.فجعلوا الطاء المناجزة لقطع العرض، لقربه وسرعته والدال المماطلة لما طال من الأثر،وهو قطعه طولاً»[12].أما قص فيفيد تتبع الشيء حتى نهايته. قص قصصت الشعر وقُصصاه نهاية منبته من قُدُم [13]

قال الله تعالى: ﴿واسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ ﴾ يوسف : 25 . جاء استعمال الفعل (قد) الدال على القطع من بين الأفعال الأخرى الدالة على القطع، مثل: (قط، وقطع، وقص)؛ لأنه الأنسب في السياق، فعملية القطع وقعت على قميص يوسف طولاً من أعلى إلى أسفل. وفي تفسير (وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ) أي من خلفه ؛ قبضت في أعلى قميصه فتخرق القميص عند طوقه ، ونزل التخريق إلى أسفل القميص[14]. وفسر البيضاوي ذلك بقوله: «اجتذبته من ورائه فانقد قميصه، والقد الشق طولا والقط الشق عرضا»[15]. وقيل القد هنا مطلق الشق، ويؤيده أن هناك قراءة ذكرها الألوسي بـــ (قط) . وعن يعقوب تخصيص (القد) بما كان في الجلد والثوب الصحيحين [16]. أما القطع فهو أعم من القد؛ لأنه يكون مدركاً بالبصر كالأجسام، أو مدركاً بالبصيرة كالأشياء المعقولة، فمن ذلك:

1.قطع الأعضاء، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ يوسف : 31،﴿فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾يوسف: 50.

2. قطع الثوب، قال الله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾الحج : 19.

3. قطع الطريق، قال الله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ ﴾العنكبوت : 29.

4. قطع الأرحام قال الله تعالى:﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾محمد:22.ومن ثم يكون القطع أعم من القد لكون الثاني يختص بالثوب وفي الشق من طول [17].

حرض:

الحرض: ذكر ابن فارس له أصلين: أحدهما نبت، والآخر دليل الذهاب والتلف والهلاك والضعف وشبه ذلك[18], والمراد الأصل الثاني هنا.

قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ يوسف:85. جاء استعمال هذا اللفظ الغريب للدلالة على الهلاك والفناء، ولم تكن الغرابة في هذه الآية بهذا اللفظ فحسب، بل نجد من الألفاظ الغريبة وهي: القسم بالتاء (تالله) ولم يقسم بالواو (والله) أو بالباء (بالله) مع أنهما أكثر استعمالاً من (تالله)، واختار أغرب ألفاظ أخوات كان (تفتأ)[19]. وهذا السياق المشحون بالألفاظ الغريبة التي تشيع الوحشة والغرابة يتناسب مع مقصود إخوة يوسف الذين طلبوا من أبيهم أن ينسى ولده وهو أمر في غاية الغرابة.

اختيار صيغة دون أخرى:

قطَّع :

«القاف والطاء والعين أصل صحيح واحد، يدل على صرم وإبانة شيء من شيء. يقال: قطعت الشيء أقطعه قطعاً »[20].

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ يوسف : 31.جاء استعمال الفعل (قطَّع) في هذه الآية بالتضعيف؛ لأن السياق دالاً على انبهار النسوة بجمال يوسف الذي جعل القطع يتكرر على أيديهن من غير شعور . والتقطيع يشير إلى الكثرة ، فيمكن أن ترجع الكثرة إلى واحدة جرحت يدها في موضع ، ويمكن أن يرجع إلى عددهن[21].

وقطعن أيديهن أي جرحنها ، كما تقول : كنت أقطع اللحم فقطعت يدي. والتضعيف للتكثير إما بالنسبة لكثرة القاطعات ، وإما بالنسبة لتكثير الحز في يد كل واحدة منهن. فالجرح

كأنه وقع مرارا في اليد الواحدة وصاحبتها لا تشعر لما ذهلت بما راعها من جمال يوسف ، فكأنها غابت عن حسها. والظاهر أن الأيدي هي الجوارح المسماة بهذا الاسم[22]. في تقديري أن التضعيف لتكثير الحز في يد كل منهن, وليس لكثرة القاطعات , إذ قد بيّن عدد النسوة من خلال استخدام صيغة اسم الجمع وهو نسوة, في قوله تعالى:﴿وقال نسوة﴾ في الآية السابقة،ولو أراد تكثير عددهن؛ لجاء بصيغة الجمع(نساء)[23].

المتصدقين:

قال الله تعالى:﴿ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يوسف : 88. جاءت صيغة (المتصدقين) بالفك دون إدغام التاء بالصاد للدلالة على عدم المبالغة في الصدقة، والسياق دل على هذا، فهم في سنة مجاعة، وقد مسهم الضر . ويبدو عدم المبالغة في هذا اللفظ لأمرين:

الأول- أنه مناسب لما ورد في الآية) وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا).

والآخر- أنهم طلبوا التصدق عليهم، و لم يطلبوا أن يبالغ لهم في الصدقة، ذلك من حسن أدبهم، فأنه لو قال: إن الله يجزي المصدقين، لأفاد بذلك أن الله يجزي المبالغين في الصدقة دون من لم يبالغ. وهذا غير مراد، فإن الله يجزي على القليل والكثير. وهو يجزي (المتصدق والمصَّدق)، فقوله: (إن الله يجزي المتصدقين) يدخل فيه المصدقون ولو قال: (يجزي المصدقين) لم يدخل المقلون في صدقاتهم والله أعلم[24]. ووردت بالفك (المتصدقين) أيضاً في سورة الأحزاب، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ... وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ الأحزاب: 35.

وجاءت الصيغة بإدغام التاء بالصاد(المصّدقين) في سورة الحديد، قال تعالى:﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾الحديد:18، فجاء لفظ المتصدقين بالفك في الأحزاب؛ ليناسب السياق تعداد صفات أهل الإيمان وذكرها ليشمل عموم أصحاب الصدقة دون المبالغة فيها (المصدقين). أما في سورة الحديد فالصيغة بالتضعيف، للدلالة على المبالغة في الصدقة والإكثار منها، لأن سياق الآية في إقراض الله تعالى وهو الذي يضاعف الحسنات[25].

يبكون:

قال الله تعالى: ﴿وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ ﴾يوسف: 16، وردت صيغة الفعل المضارع (يبكون)، و لم ترد بصيغة اسم الفاعل (باكين)، لأن السياق يكشف عن تصوير مكر إخوة يوسف وحقدهم عليه، إذ احتالوا على أبيهم وأقنعوه بإخراج يوسف معهم، ثم ألقوه في غيابة الجب وجاءوا أباهم يصطنعون البكاء، ويتظاهرون بالحزن، ويكررون البكاء، لمعرفتهم بمنزلة يوسف في قلب أبيهم لعله يصدقهم، وهم بحاجة إلى كثرة البكاء للتعميه على كذبهم، أي إن السياق يمدنا بتعليل شافٍ لاختيار صيغة الفعل (يبكون)، فهو يعرض« صورة ما هم عليه وقت المجيء ، وأنهم آخذون في البكاء يجددونه شيئاً بعد شيء ، وهذا سر الإعراض عن اسم الفاعل... إلى صريح الفعل»[26].

اختيار جمع دون آخر:

سنبلات:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ يوسف : 43.جاء التعبير بصيغة جمع المؤنث السالم وهو من جموع القلة في سياق إخبار الملك عن رؤياه، ولا يلحظ في هذا كثرة ولا قلة؛ لأنه إخبار برؤيا، فكان الإتيان بما يناسب عدد المرئي وهو قليل، فجاء بها على لفظ القلة؛ لأن السبعة قليلة ولا مقتضى للتكثير[27]؛ لأن المعدود هو العدد (سبع)، ولا يوجد في سياق الآية أو فيما قبلها ما يدل على التكثير، بل جاء في سياقها جمع لفظين جمع مؤنث سالم وهما: (بقرات ويابسات).

وقد ورد جمع سنبلة على التكثير في سورة البقرة، قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ البقرة :261، جمعت سنبلة ههنا على الكثرة (سنابل) فميز العدد (سبع) بالكثرة مع أن ما دون العشرة يميز بالقلة. ويبدو أن مجيء الجمع هنا للكثرة؛ لأن سياق الآية في النفقة في سبيل الله والله يضاعفها أضعافاً مضاعفة.

وقد ذكر الزركشي أن العدد (سبع) ميز بالكثرة في سورة البقرة بلفظ (سنابل)؛ لأنه جاء في موضع سيق في بيان المضاعفة والزيادة فناسبته صيغة جمع الكثرة[28] .أما آية يوسف فإنما بناؤها على إخبار الملك عن رؤياه سبع سنبلات، فلا طريق هنا للحظ كثرة ولا قلة لأنه إخبار برؤيا فوجهه الإتيان من أبنية الجموع بما يناسب المرئي، وهو قليل لأن ما دون العشرة قليل فلحظ في آية البقرة ما بعده مما يتضاعف إليه هذا العدد وليس في آية يوسف ما يلحظ فافترق القصدان وجاء كل على ما يجب ويتناسب والله أعلم [29] .

إخوة وإخوان:

ورد جمع إخوة في سورة يوسف على بناء (فِعْلة)، وهم في هذه السورة إخوة النسب، فهم إخوة يوسف، قال الله تعالى:﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾يوسف: 5 والقص: حكاية الرؤيا. يقال: قص الرؤيا إذا حكاها وأخبر بها [30]، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ يوسف:7،﴿وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾يوسف : 58.

وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم ورد جمعها على إخوان الدالة على الكثرة، والتي بمعنى الإخوة في غير النسب كالإخوة في الدين،قال الله تعالى في سورة التوبة:﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾التوبة: 11، جاء استعمال جمع (أخ) في هذا الموضع على (إخوان)، وصيغة(فِعْلان) تدل على معنى الكثرة .

ذهب السيوطي إلى أن (إخوان) استعملت في مواضع الكثرة ؛ لأنه يغلب إطلاقها على إخوة الصداقة ، فهي جمع كثرة ، وأما إخوة فتطلق على إخوة النسب ، مستثنياً الآيتين الآتيتين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات: 10 ، ﴿ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ﴾ النور: 61.

وذهب أبو حيان إلى أن كلاً من (إخوان و إخوة) جمع لأخ من نسب أو دين ومن زعم أن الإخوة تكون في النسب والإخوان في الصداقة فقد غلط[31] . مستدلاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ،أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ ﴾.الأمر الذي يدفعنا إلى تتبع الآيات التي ورد فيها كل من الجمعين، وكيفية استعمالهما، فقد استعمل القرآن الكريم إخوة جمع لإخوة النسب في قوله

تعالى:﴿ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾النساء :11، ﴿وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾النساء : 176،﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴾يوسف : 7 ،﴿وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾يوسف : 58.

وجاء استعمال إخوان لإخوة الصداقة، في قوله تعالى:﴿ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾البقرة : 220،﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ﴾آل عمران : 103 ،﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾آل عمران:156،﴿الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾آل عمران: 168 ،﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ ﴾الأعراف:202،﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾الأنعام : 87، ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾التوبة : 11،﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء ﴾التوبة : 23،﴿ قلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾ التوبة : 23،﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴾الإسراء : 27،﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ﴾النور : 6، ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾الأحزاب : 5،﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾الأحزاب : 18، ﴿ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾ ق : 13، ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾المجادلة : 22 ،﴿ الَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾الحشر : 10، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا

يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً﴾الحشر : 11.

وقد استعمل إخوة بدلاً من إخوان في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾الحجرات : 10؛ لكي تزيد الإخوة الإيمانية وتقوى العلاقة بين المؤمنين فتكون كإخوة النسب، واستعمل إخوان بدلاً من إخوة في: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ ﴾النور : 31 ، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاء إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاء أَخَوَاتِهِنَّ ﴾الأحزاب: 55﴿ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ ﴾النور:61؛لأن الخطاب فيهن لعموم المؤمنين وليس لواحد منهم فاقتضى المقام الكثرة فجاء بصيغة (إخوان) الدالة على الكثرة بدل (إخوة) التي هي للقلة[32].

فقد غلب على صيغة إخوة الدلالة على إخوة النسب في السياقات التي وردت بها، وغلب على صيغة إخوان الدلالة على الإخوة في غير النسب، ولا يمنع أن يستعمل أحدهما موضع الآخر في بعض السياقات، ويتبين لنا ذلك من خلال عرض السياقات التي ورد بها كل جمع.

المبحث الثاني- دلالة السياق في نفي الترادف في سورة يوسف:

اهتم العلماء العرب بالترادف، وتباينت فيه آراؤهم ، و لم يتفقوا على مفهوم واحد له. ولعل أول من أشار إليه سيبويه في قوله:« اختلاف اللفظين والمعنى واحد، نحو: ذهب وانطلق»[33].

وقد أشار ابن جني إلى هذه الظاهرة في باب (تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني)، ومثّل لها بالخليقة والسجية والطبيعة والغريزة والسليقة[34].

وعرفه الفخرُ الرازي بقوله : «هو الألفاظ المفردةُ الدالة على شيء واحد باعتبارٍ واحد»، قال : «واحترزنا بالأفراد عن الاسم والحدّ فليسا مُترادفين، وبوحْدة الاعتبار عن المتباينين كالسيف والصارم،فإنهما دَلاَّ على شيءٍ واحد،لكنْ باعتبارين،أحدُهما على الذَات والآخر على الصّفة»[35].

ولقي اهتماماً لدى المحدثين، فقد عرّفه أحمد مختار عمر بقوله:«هو أن يدل أكثر من لفظ على معنى واحد»[36]. وعرفه أحمد محمد قدور بقوله: « هو تعدد الدوال التي تشير إلى مدلول واحد»[37].

وقد أدرك الزركشي أن النظر إلى الألفاظ في ضوء السياق ينفي عنها مظنّة الترادف, فقد تحدّث عن:«ألفاظ يُظنّ بِها الترادف وليست منه, ولهذا وزِّعت بحسب المقامات, فلا يقوم مرادفُها فيما استُعمل فيه مقام الآخر, فعلى المفسِّر مراعاة الاستعمالات, والقطع بعدم الترادف ما أمكن, فإن للتركيب معنى غير معنى الإفراد, ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب, وإن اتفقوا على جوازه في الإفراد »[38]

وإذا نظرنا في القرآن الكريم وجدناه دقيقاً في اختيار الألفاظ، فكل لفظ له دلالة خاصة لا يمكن أن يؤديها غيره ، فهو يستعمل كلّ لفظٍ حيث يؤدي معناه في دقة فائقة تجعل المخاطب يؤمن بأن هذا المكان لا يمكن أن يوضع فيه غير ذلك اللفظ، وأن لفظاً آخر لا يستطيع توفية المعنى الذي وفّى به ذلك اللفظ ، فكل لفظ وضع ليؤدي نصيبَه من المعنى أقوى أداء، ولذلك لا يوجد ترادف في القرآن، وإنما يحمل كلُّ لفظٍ معنىً جديداً[39]، ومن هذه الألفاظ في سورة يوسف:

الحلم الرؤيا:

الحُلم: الحاء واللام والميم، أصولٌ ثلاثة:الأول ترك العَجَلة، والثاني تثقُّب الشيء،والثالث رُؤية الشيء في المنام.وهي متباينةٌ جدًّا، تدلُّ على أنَّ بعضَ اللغةِ ليس قياساً،وإن كان أكثرُه منقاساً [40]

والرؤيا: «ما رأيته في منامك ...ورأيت عنك رؤى حسنة :حلمتها، وأرى الرجل إذا كثرت رؤاه... وهي أحلامه جمع الرؤيا»[41].

لم يفرق أصحاب المعاجم اللغوية بين المفردتين، بل فسروا إحداهما بالأخرى، فقد جاء في لسان العرب الحُلم: « الحلم والحلم بسكون اللام وضمها: الرؤيا، والجمع أحلام، يقال: حَلَمَ يحلُم: إذا رأى في المنام«.فهما مترادفان عند علماء اللغة.

وذهب إلى ما سبق بعض المفسرين، فلم يراعوا الفروق الدلالية التي يكشف عنها السياق، ففسروا الحلم بالرؤيا، يقول البغوي : «الأحلام جمع الحلم، وهو الرؤيا»[42].

وفي سورة يوسف وردت كل مفردة من المفردتين في سياق يختلف عن الآخر، فقد وردت (أحلام)بمعنى ما يراه النائم في قوله تعالى:﴿قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ﴾

يوسف : 44، وهذا فيما قصه الملك على الملأ بما رآه في نومه فاختلط عليهم الأمر والتبست جزئيات الأحلام بعضها ببعض، فبدت لهم أباطيل وتخاليط، ولذلك وصفوها بأنها أضغاث أحلام، « أي: تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان»[43]

وجاء هذا اللفظ في قول الله تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ يوسف: 5، والمتأمل في استعمال (الرؤيا) في سورة يوسف يلحظ أن كل السياقات التي ورد فيها تدل على أنها الرؤية الصادقة، فقد علم يعقوب عليه السلام أن ما رآه ابنه في منامه رؤيا صادقة متحققة، وتيقن أنه سيكون له شأن عظيم، وأنها من مبشرات النبوة، فهي واضحة وموجزة في تعبيرها، ويدل السياق على تحقق هذه الرؤية لا محالة، لأن صاحبها من نسل النبوة، فأبوه نبي وجده نبي.

وفي تتبع سياق قصة يوسف نجد تحقق هذه الرؤية في نهاية القصة كما رآها، بقوله تعالى: ﴿ورَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـــذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً ﴾ يوسف : 100.

أما الأحلام فقد جاءت في القرآن مرتين وكلها مضافة إلى أضغاث، وهي الأباطيل والتخاليط؛ قال تعالى : ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾يوسف: 44 وقال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾الأنبياء: 5.

السنة والعام:

السنة: السين والنون والهاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على زمانٍ. فالسَّنَة معروفة، وقد سقطت منها هاء. ألا ترى أنّك تَقول سُنَيْهَة. ويقال سَنَهَتِ النخلةُ، إذا أتت عليها الأعوام [44].

العامُ: الحَوْلُ يأْتي على شَتْوَة وصَيْفَة[45].

ورد اللفظان في سورة يوسف في سياقات مختلفة، فقد وردت السنة في قوله تعالى:﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾يوسف : 42، وسياق الآيات يدل على أن يوسف ضاق ذرعاً ببقائه في السجن ظلماً

بدون ذنب، فطلب من أحد السجينين أن يذكر مظلمته عند الملك ، لكن السجين الناجي نسي ذلك، فظل يوسف يعاني آلام السجن بضع سنين . ولا شك في أن اقتران السنين بالسجن يؤكد دلالتها على الشدة ، فضلاً عن الإحساس بالظلم الشديد والغربة المرة.

وكذا في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾يوسف: 47، قد يبدو للقارئ لأول وهلة أن السنين في هذه الآية أطلقت على أيام الرخاء لأنها جاءت في مقابلة السنوات العجاف ، لكن مفردات السياق تشير إلى أن الناس لم يعيشوا فترة رخاء في هذه السنين، وبيان ذلك في أمرين:

الأول- أنهم كانوا في حال استنفار تام وعمل دائب يحاصرهم الخوف من الجوع في السنوات السبع الأُخَر التي ستقضي على كل ما جمعوا.

الآخر- كان عليهم أن يُبقوا معظم ما حصدوه في هذه السنين في سنبله لادخاره للسنوات الشداد، وهم لا يأكلون إلا الشيء اليسير، مما يجعل هذه السنين أقرب إلى الشدة منها إلى الرخاء.

وورد لفظ عام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ يوسف: 49، فقد جاء التعبير عن الرخاء والنعيم بـــ(عام) بعد أن عبَّر عن المشقة والشدة والجدب (السنين)، ويدل السياق على أن هذا العام جاء بعد سنوات عانى فيها الناس الشدة والقحط . وقد ذكر أبو حيان أن يوسف بشَّرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بمجيء العام الثامن مباركاً خصيباً كثير الخير غزير النعم[46].

ويمكن أن نخلص إلى: أن لفظي (السنة) و(العام) ليسا مترادفين،فكل منهما يقع في سياقات مختلفة في التعبير القرآني المعجز ، إذ يغلب مجيء لفظ (السنة) في الدلالة على الشدة والمشقة والقحط والجدب،ويغلب مجيء لفظ (العام) في لدلالة على الرخاء والاستقرار وسعة العيش.

الوالدان والأبوان :

ولد: الواو واللام والدال: أصلٌ صحيح، وهو دليل النَّجْل والنسْل، ثمَّ يقاس عليه غيرُه[47].

أبو: والهمزة والباء والواو فيدلّ على التربية والغَذْو.أَبَوْتُ الشيء آبُوه أَبْواً إذا غذوته. وبذلك سمّي الأب أباً [48]. ولم يرد لفظ الوالدين في سورة يوسف، لكنه ورد في سور أخرى من القرآن الكريم، كما في قول الله تعالى:﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾الإسراء : 23 ،﴿لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾البقرة : 83، ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾النساء : 36،﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾النساء : 135، ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾الأنعام : 151 ، ويلحظ من هذه الآيات مجيء لفظ الوالدين حين يذكر الإحسان إلى الأب والأم والبر بهما يذكر ذلك بلفظ الوالدين، ولا يذكره بلفظ الأبوين تذكيراً للإنسان بأمر الولادة، فلا يقر مرة واحدة وبالأبوين إحساناً، بل أن كل مواطن الأمر بالمصاحبة والمعروف والإحسان إليهما والبر بهما والدعاء لهما، يأتي بلفظ الوالدين وفيه إلماح إلى أن الأم لها النصيب الأوفى في ذلك[49].

وورد ذكر الأبوة في سورة يوسف في قوله تعالى﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ ﴾يوسف : 99، ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـــذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً﴾يوسف: 100،﴿يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ﴾النساء : 11.

جاء بلفظ الأبوين في سورة يوسف؛ لأنه في هذه القصة لم يرد ذكر لأم يوسف ولا وصف لحالتها، بل كلها تدور حول الأب وابنه يوسف، فالأب هو المحزون الكظيم فهو الذي فقد بصره حزناً وأسفاً، وهو الدائم الذكر له حتى خشي عليه الهلاك ، فكان من المناسب تغليب الأب ههنا لا تغليب الوالد[50].

وجاء بالأبوين في سورة النساء؛ لأنها في بيان تقسيم الورث، وبيان نصيب حظ الذكر والأنثى، قال الله تعالى﴿وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ النساء: 11.

الخشية والخوف:

الخشية: الخاء والشين والحرف المعتل يدلُّ على خَوف وذُعْر، ثمّ يحمل عليه المجاز. فالخَشيَة الخَوْف[51].

الخوف: الخَوْفُ الفَزَعُ[52]. والخشية أعلى مرتبة من الخوف فإنها مأخوذة من شجرة خشيَّة إذا كانت يابسة، وذلك فوات بالكلية. والخوف من قولهم: ناقة خوفاء إذا كان بها داء، وذلك نقص وليس بفوات، ومن ثم خُصَّت الخشية بالله في قوله تعالى:﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ﴾ الرعد:21.وفُرِّق بينهما أيضاً بأن الخشية تكون من عظم المخشي وأن كان الخاشي قوياً. والخوف يكون من ضعف الخائف، وإن كان المخوف أمر يسير[53].

ويفرق أبو هلال العسكري بينهما فيذهب إلى أن الخوف يتعلق بالمكروه وبترك المكروه والخشية تتعلق بمنزل المكروه ولا يسمى الخوف من نفس المكروه خشية ؛ ولهذا قال تعالى﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ﴾الرعد:21أما قوله تعالى:﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾يوسف : 13 [54]فقد عبر بالخوف دون الخشية ليفيد أن ذلك إنما كان على سبيل التوقع والشك لا على سبيل التيقن والجزم[55].

أما الآيات من سورة النحل ﴿وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾النحل : 49﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾النحل : 50 فقد جاء يخافون ربهم لأنه وصف للملائكة ، ولما ذكر قوتهم وشدة خلقهم ،عبر في جانبهم بالخوف لبيان أنهم وإن كانوا غلاظاً شداداً فهم بين يدي الله تعالى ضعفاء ثم أردفه بالفوقية الدالة على العظمة، فجمع بين الأمرين، ولما كان ضعف البشر معلوما لم يحتج إلى التنبيه عليه[56].

الزوجة والمرأة:

زوْج: الزاء والواو والجيم أصلٌ يدلُّ على مقارنَة شيءٍ لشيء. من ذلك الزّوج زوج المرأة. والمرأةُ زوج بعلِها، وهو الفصيح. فهي الفرد المزاوج لصاحبه، فكل منهما زوج، فيقال للرجل زوج وللأنثى زوج [57].

مرأ: المروءة كمال الرجولية، وامْرَأَةٌ مؤنث امْرِئٍ، وهي المرأة الكاملة[58]..

و(الزوجة) و (المرأة) : أو بتحديد أدق (الزوج) و(المرأة(من الألفاظ المقول بترادفها والنظر في سياق الآيات التي ورد بها كل لفظ نلحظ أن القرآن الكريم فرق بين اللفظين.

لقد أخبر القرآن الكريم عن أهل الإيمان بلفظ (الزوج) كقوله تعالى في آدم : ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾البقرة : 35، وفي حق زكريا: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾الأنبياء : 90، وقوله تعالى في شأ ن زيد: ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾الأحزاب : 37.وأخبر فيه عن أهل الشرك بلفظ (المرأة) دون لفظ (الزوج) كقوله تعالى في شأن أبي لهب: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾المسد : 4 .

وقد ذكر ابن القيم أن السِّر في ذكر المؤمنين ونسائهم بلفظ الأزواج كون هذا اللفظ مشعراً بالمشاكلة والمجانسة والاقتران، كما هو المفهوم من لفظه فإن الزوجين هما الشيئان المتشابهان المتشاكلان أو المتساويان، ومنه قوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ الصافات:22 ، قال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– أزواجهم: أشباههم ونظراؤهم، وقاله الإمام أحمد أيضا. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾التكوير : 7، أي قرن بين كل شكل وشكله في النعيم والعذاب، قال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– في هذه الآية: «الصالح مع الصالح في الجنة والفاجر مع الفاجر في النار»[59].

وقال تعالى:﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾الأنعام : 143 ،﴿وَمِنَ الإِبْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾الأنعام : 144 بدأ بثمانية أزواج ثم فسرها من الضأن اثنين

ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين، فجعل الزوجين هما الفردان من نوع واحد.

ولا ريب أن الله سبحانه وتعالى قطع المشابهة والمشاكلة بين الكفار والمؤمنين، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾الحشر : 20.

وقال تعالى في حق مؤمني أهل الكتاب وكافرهم: ﴿لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾آل عمران : 113 .

وقطع الله – سبحانه – المقارنة بين المؤمنين والكفار في أحكام الدنيا، فلا يتوارثان ، ولا يتناكحان ، ولا يتولى أحدهما صاحبه ، فكما انقطعت الصلة بينهما في هذا المعنى انقطعت في الاسم ، فلم يجئ التعبير بلفظ (الزوج) الذي يدل على المشاكلة والمشابهة.ولهذا وقع على المسلمة امرأة الكافر كامرأة فرعون ، وعلى الكافرة امرأة المؤمن كامرأة نوح ولوط، لفظ (المرأة) دون لفظ (الزوج) تحقيقا لهذا المعنى .

وتأمل في هذا المعنى في آية المواريث وتعليقه سبحانه التوارث بلفظ الزوجة دون المرأة كما في قوله تعالى:﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾النساء: 12 وذلك إيذانا بأن هذا التوارث إنما وقع بالزوجية المقتضية للتشاكل والتناسب، والمؤمن والكافر لا تشاكل بينهما ولا تناسب، فلا يقع بينهما التوارث »[60].

وتفصل عائشة عبد الرحمن ذلك ذاكرة أن كلمة (زوج) تأتي حين تكون الزوجية هي مناط الموقف: حكمة وآية، أو تشريعاً وحكماً في آية الزوجية[61]، ومن ذلك، قول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ سورة الروم، 21،﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾سورة الفرقان،74. فإذا تعطلت آيتها من السكن والمودة والرحمة بخيانة، أو تباين في العقيدة (فامرأة) لا (زوج)، ويكون تعطيلها بأمور هي:

1-الخيانة، كما في قول الله تعالى﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ سورة يوسف30 .

2- الكفر وتباين العقيدة، كما في قول الله تعالى: ﴿ضرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ﴾سورة التحريم:10، وقول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ ﴾التحريم : 11 ، وامرأة أبي لهب لكفرهما، قال الله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾المسد : 4.

3- العقم،كالآيات في امرأة إبراهيم ﴿وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾هود :71 فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾الذاريات : 29، يؤكد ذلك تضرع زكريا إلى الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ سورة

مريم: 5، ثم لما استجاب له ربه، وحققت الزوجية حكمتها فكانت الآية ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾سورة الأنبياء:.90

4- الترمل، ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً﴾آل عمران : 35.

وفي آيات التشريع تتعلق الأحكام بالزوج والأزواج حين تكون الزوجية قائمة: واقعاً أو حكماً كأحكام المواريث وعدة اللواتي توفي أزواجهن، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً ﴾البقرة : 234. أما حين تنقطع العلاقة الزوجية بطلاق أو إيلاء فالأحكام متعلقة بالنساء لا بالأزواج[62].

وعلى ضوء ما تقدم نستطيع تبين المعايير التي ينبغي توفرها حتى تحظى المرأة بلقب الزوجة، وهي أن تكون هذه العلاقة قد توطدت بالتآلف الفكري والنفسي والحسي، وذلك بأن تكون قد أنجبت له، وعلى دينه، وذات وفاء له، فإن اختل عنصر من هذه العناصر كانت امرأة لا زوج.

المبحث الثالث- دلالة السياق في تحديد معنى المشترك اللفظي:

المشترك اللفظي:

حدَّه أهل الأصول بأنه اللفظُ الواحدُ الدالُّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالةً على السواء عند أهل تلك اللغة[63].وعند المحدثين يراد بالاشتراك انصراف اللفظ الواحد إلى أكثر من معنى واحد، بمعنى أن تكون اللفظة الواحدة لمعنيين أو أكثر، مثال ذلك العين: تطلق على الجارحة، ونبع الماء، والجاسوس وغيرها، وقد كان القدامى من اللغويين يسمون المشترك اللفظي(ما اتفق لفظه واختلف معناه)[64].وخصه محمد سعد بقوله:«اللفظ الواحد الدال على المعاني المتعددة غير المتضادة»[65]

أثبت المشترك اللفظي أكثر القدامى وضربوا أمثلة له، ومنهم سيبويه الذي ذكر أن من تقسيمات كلام العرب «اتفاق اللفظين والمعنى مختلف، قولك : وجدت عليه من الموجدة ووجدت إذا أردت وجدان الضالة، وأشباه هذا كثير»[66].

وقد كان المفسرون أكثر دقة في مراعاة السياق وكشف المعنى منه، إذ يفسرون اللفظ المشترك بما يتلاءم مع السياق الذي ورد فيه, مستدلين عليه بالقرائن المختلفة، فقد ذكر الزركشي

أن من القرآن ما لم يرد في تفسيره نقل, وطريق التُّوصل إلى فهمه النظر في مفردات الألفاظ ومدلولاتِها واستعمالاتِها بحسب السياق [67]. ومن المشترك اللفظي في سورة يوسف:

الرّب :

في كلام العرب الرَّبُّ هو اللّه عزّ وجل هو رَبُّ كلِّ شيءٍ أَي مالكُه وله الرُّبوبيَّة على جميع الخَلْق ويقال: الرَّبُّ بالأَلِف واللام لغيرِ اللّهِ وقد قالوه في الجاهلية للمَلِكِ قال الحارث بن حِلِّزة:

وهو الرَّبُّ والشَّهيدُ عَلى يَوْ *** مِ الحِيارَيْنِ والبَلاءُ بَلاءُ

وربُّ كلِّ شيءٍ مالِكُه ومُسْتَحِقُّه وقيل صاحبُه، ويُطْلَق في اللغة على المالكِ والسَّيِّدِ والمُدَبِّر والمُرَبِّي والقَيِّمِ والمُنْعِمِ [68]. والراء والباء يدلُّ على أُصولٍ. فالأول إصلاح الشيءِ والقيامُ عليه. فالرّبُّ: المالكُ، والخالقُ، والصَّاحب. والرّبُّ: المُصْلِح للشّيء. والأصل الآخرُ لُزوم الشيءِ والإقامةُ عليه، وهو مناسبٌ للأصل الأوّل. والأصل الثالث: ضمُّ الشيء للشَّيء، وهو أيضاً مناسبٌ لما قبله، ومتى أُنْعِمَ النَّظرُ كان الباب كلُّه قياساً واحداً [69].

وهذا يعني أن معاني كلمة رب كل منها يفضي إلى الآخر، وأنها يمكن أن تتوحد وتتجمع في النهاية لتكون معنى واحدا، ويبدو أن المعنى الأول وهو التربية والتنشئة والكفالة هو الأساس ثم تفرعت عنه المعاني الأخرى؛ لأن المربي والمنشئ سيكون هو المالك وهو السيد وهو المتصرف.

وفي القرآن الكريم جاء بمعنيين هما:

1- بمعنى الله عز وجل الخالق الذي لا يزال قائماً مشرفاً على خلقه، راعياً ومدبراً لأمورهم، في قوله تعالى: ﴿قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾يوسف:37،﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾يوسف:53﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾يوسف:98،﴿ورَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـــذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ

السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾يوسف:100

2- بمعنى المالك والسيد في قول الله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ يوسف : 23 ، يريد قطمير[70].﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾يوسف : 41﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾يوسف : 42 ،﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾يوسف : 50، ومن سياق الآيات يتبين أن لفظ (رب) هو العزيز الذي تربى يوسف في قصره، وأحسن إليه، وكلمة الرب في الآيات السابقة الملك والسيد والحاكم، وهو الذي ربَّى يوسف عليه السلام في بيته منذ اشتراه. ورب صاحبه الذي أول له الرؤيا. والدليل على هذا ما جاء في تفسيرها صفني عند الملك بصفتي، وقص عليه قصتي لعله يرحمني ويخرجني من هذه الورطة[71].

وجاء بصيغة الجمع بمعنى الأصنام، قال تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾يوسف : 39، يقول أأن تكون لكما أرباب شتى ، يستعبد كما هذا ويستعبد كما هذا خَيْرٌ لكما أَمِ أن يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية، بل هو الْقَهَّارُ الغالب ، وهذا مثل ضربه لعبادة اللّه وحده ولعبادة الأصنام [72].

أكل:

الهمزة والكاف واللام بابٌ تكثر فُروعه، والأصل كلمة واحدة، ومعناها التنقُّص[73].

الفعل أكل في سورة يوسف يدل على معنيين هما:

1- معنى الافتراس؛ لأن الذئب من الحيوانات المفترسة. والسياق هو من كشف لنا المعنى، في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾يوسف : 17

يقول الخطابي في تفسيره لقوله تعالى:إن الافتراس معناه في فعل السبع القتل فحسب، وأصل الفرس (دق العنق)، والقوم إنما ادعوا على الذئب أنه أكله أكلاً، وأنه أتى على جميع أجزائه وأعضائه، فلم يترك مفصلاً ولا عظيماً، وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إياهم بأثر باق يشهد على صحة ما ذكروه فادَّعوا فيه الأكل؛ ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة، والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى، فلا يصلح هذا أن يعبر عنه إلا بالأكل[74].

2- معنى الأكل مجازاً، لأن السنين لا تأكل، كما في قوله تعالى:﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾يوسف : 43، ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾يوسف : 48، و{سَبْعٌ شِدَادٌ} يعني السنين المجدبات. {يَأْكُلْنَ} مجاز ، والمعنى يأكل أهلهن. {مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ} أي ما ادخرتم لأجلهن[75].

3- بمعنى الأكل حقيقة وهو الطعام في سياقات أخرى من القرآن الكريم، كما في سورة المائدة، قال تعالى:﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ ﴾المائدة : 75.

4- بمعنى يغتاب كما في سورة الحجرات، قال تعالى:﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾الحجرات : 12، مثل الله الغيبة بأكل الميتة؛ لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه كما أن الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه. وقال ابن عباس : إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة؛ لأن أكل لحم الميت حرام مستقذر، وكذا الغيبة حرام في الدين وقبيح في النفوس. وقال قتادة : كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا كذلك يجب أن يمتنع من غيبته حيا. واستعمل أكل اللحم مكان الغيبة؛ لأن عادة العرب بذلك جارية. قال الشاعر :

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم *** وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا [76].

عين:

العين والياء والنون أصلٌ واحد صحيح يدلُّ على عُضوٍ به يُبْصَر ويُنظَر، ثم يشتقُّ منه، والأصلُ في جميعه ما ذكرنا. والعين: الذي تبعثُه يتجسَّس الخبرَ، والعين الجاريةُ النّابعة من عيون الماء، والعين: السَّحاب ما جاءَ من ناحية القبلة، وماءٌ عائن، أي سائل. وعَيْنُ السِّقاء. والعين: ابنا عِيَانٍ: خطَّانِ يخُطُّهما الزاجر، والعَين، المال العَتِيد الحاضر، والعين عَين الرَّكِيَّة(77).

وقد ورد لفظ العين في سورة يوسف بمعنى عضو الإبصار، في قول الله تعالى: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾يوسف : 84 أي "عمي بصره" (78). ﴿ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ ﴾يوسف : 84، من تتبع السياق في الآيتين السابقتين من سورة يوسف نلحظ مجيء (عيناه) بمعنى العين الجارحة فهما عينا يعقوب عليه السلام. ووردت في سياقات أخرى من القرآن الكريم بمعان هي:

1- الرعاية والحفظ (79). في قوله تعالى:﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾طه : 39.

2- عين الماء في قوله تعالى:.﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾ البقرة : 60﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾ الأعراف : 160.

والعين من الأسماء المشتركة يقال: عين الماء وعين الإنسان وعين الركبة وعين الشمس. والعَيْن: سحابة تقبل من ناحية القبلة والعين : مطر يدوم خمسا أو ستا لا يقلع. وبلد قليل العَيْن: أي قليل الناس. وما بها عين ، محركة الياء والعين : الثقب في المزادة والعَين من الماء مشبهة بالعين من الحيوان لخروج الماء منها كخروج الدمع من عين الحيوان. وقيل : لما كان عين الحيوان أشرف ما فيه شبهت به عين الماء لأنها أشرف ما في الأرض (80).

أمَّة:

الهمزة والميم أصلٌ واحدٌ، يتفرّع منه أربعة أبواب، وهي الأصل، والمرجِع، والجماعة، والدِّين، وهذه الأربعة متقاربة، وبعد ذلك أصولٌ ثلاثة، وهي القامة، والحين، والقَصْد [81].

استعمل لفظ أمة في سورة يوسف بمعنى المدة الزمنية قال تعالى﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾يوسف : 45.

والأمة اسم مشترك يقال على ثمانية معاني :

1- بمعنى الجماعة ؛ كقوله تعالى : ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ﴾القصص : 235

2- وبمعنى الرجل الجامع للخير الذي يقتدى به ؛ كقوله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً﴾النحل : 120.

3- وبمعنى الدين والملة ؛ كقوله تعالى : ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾الزخرف : 22.

4- وبمعنى الحين والزمان ؛ كقوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ وكذلك قوله تعالى :﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾يوسف : 45 .

5- والأمة أيضا أتباع الأنبياء عليهم السلام.

6- والأمة القامة ، طول الإنسان وارتفاعه ؛ يقال من ذلك : فلان حسن الأمة أي القامة.

7- والأمة الرجل المنفرد بدينه وحده لا يشركه فيه أحد ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم : «يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده».

8- والأمة الأم ؛ يقال: هذه أمة زيد ، يعني أم زيد [82].

ومن المعاني السابقة لكلمة أمة نلحظ أنها استعملت في القرآن لأربعة معان هي: الجماعة من الناس، الرجل الجامع للخير الذي يقتدى به، الدين والملة، الحين والزمان[83].

ألفاظ الأضداد في ضوء السياق في سورة يوسف:

الضد: نوع من المشترك اللفظي، يقع على شيئين ضدين[84]. يقول ابن فارس: «ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد نحو: الجون للأسود، والجون للأبيض»[85].

وقد تناول الأقدمون ظاهرة التضاد على كونها كلمة واحدة تحمل معنيين متضادين، أما علماء اللغة المحدثون، فقد درسوا ظاهرة التضاد على أنها لفظان يختلفان نطقاً ويتضادان معنى كالقصير في مقابل الطويل، والجميل في مقابل القبيح، والذكر في مقابل الأنثى(86).

ويقترب التضاد من المشترك اللفظي، في دلالة اللفظ على معنيين، أما المشترك فتتعدد فيه معاني اللفظ فوق ذلك، وعليه فهو أعم من التضاد مع اشتراكهما في تعدد أكثر من معنى.

شرى واشترى:

(شري) الشين والراء والحرف المعتل أصولٌ ثلاثة: أحدها يدلُّ على تعارضٍ من الاثنين في أمرين أخذاً وإِعطاءً مُمَاثَلةً، والآخر نبتٌ، و*الثالث هَيْجٌ في الشيء وعلُوّ. فالأوّل قولهم: شَرَيت الشيء واشتريتُه، إِذا أخذتَه من صاحبه بثَمنه. وربما قالوا: شَريتُ: إِذا بعتَ(87).

تشير كتب الأضداد إلى أن كلاً من(شرى واشترى) يدل على البيع والاشتراء (88)، ويرى ابن عاشور أن معنى (شَرَوْهُ) باعوه. يقال: شرى كما يقال: باع، ويقال: اشترى كما يقال: ابتاع. ومثلهما رهن وارتهن، وعاوض واعتاض، وكرى واكترى. والأصل في ذلك وأمثاله أن الفعل للحدث والافتعال لمطاوعة الحدث (89).

وتتبع دلالة اللفظين في البيان القرآني في ضوء السياق يؤكد أن (شرى) يختص بالدلالة على البيع (90)، أي: أخذ الثمن ودفع المثمن قال الله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾يوسف : 20، إذ يدل السياق على أن شروه بمعنى باعوه، ولا ينصرف الذهن إلى معنى الاشتراء، فسياق الآيات في الحديث عن يوسف بعدما ألقاه إخوته في غيابة الجب، قال تعالى: ﴿وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَـــذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾يوسف : 19، فالضمير في شروه يعود على الذين عثروا عليه في غيابة الجب وهم الذين أرادوا بيعه، إذ أسروه بضاعة. ومن القرائن الدالة على أن شروه هنا بمعنى باعوه، قوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾يوسف:20،لأن الزهد في شيء يتنافى مع شرائه ودفع ثمنه،ولكنه ينسجم مع بيعه(91) .

فضلاً على أنه استعمل مع المشتري لفظ أشتراه قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ﴾يوسف:21،وإنما فضل التعبير القرآني لفظ شروه على باعوه تكريما ليوسف عليه السلام، لأن باع تشير إلى بيع العبيد، والله أعلم.ولا خلاف بين المفسرين في دلالة شرى أينما ورد في القرآن على البيع؛ أما اشترى فيغلب استعماله على الاشتراء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾يوسف:21،إذ يدل سياق الآيات على الاشتراء، هنا، يعني: دفع الثمن وأخذ المثمن فالمشتري دفع دراهم معدودة وأخذ يوسف لينتفع به أو يتخذه ولداً.ويمكن القول:إن السياق يحدد دلالة كل من (شرى، واشترى) بمعنى معين،لا يحتمل غيره، وأن (شرى) يختص بالدلالة على معنى البيع، ويغلب استعمال (اشترى) بمعنى الاشتراء، لكنه جاء بمعنى البيع.

ظنَّ:

تشير كتب الأضداد إلى أن (الظن) يأتي بمعنى اليقين ومعنى الشك[92].وقد جاء الظن في بعض الآيات بمعنى اليقين، وفي بعضها بمعنى الشك، ويعرف ذلك بدلالة السياق، لا بدلالة اللفظ نفسه ، فقد قيل الظن: « توفيق بين معتقدين غلب أحدهما على الآخر« [93]، وقال الراغب : «الظنُّ : اسم يحصل عن أمارة ، ومتى قوّيت أدت إلى العلم ، ومتى ضعفت جداً لم يتجاوز حدِّ التوهُّم» [94]. وذكر الفيروز أبادي أن الظن : التردد بين طرفي الاعتقاد غير الجازم [95].

ومن الكلام السابق يمكن القول إن الظن خط بين اليقين والشك ، والدلائل السياقية هي التي تُقرِّب هذا الخط من اليقين أو من الشك ، وهذا الرأي ينفي دلالة (الظن) خارج السياق عن اليقين أو الشك ، ويبين أثر السياق في تنويع المعنى وتحديده ، وبيان درجته.

أولاً- الظن بمعنى: اليقن، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾يوسف: 42، الظنّ هنا بمعنى اليقين والمعنى صفني عند الملك بصفتي، وقص عليه قصتي لعله يرحمني ويخرجني من هذه الورطة [96].وتأكيداً على دلالة اليقين فإنه لا بد من النظر إلى سياق القصة التي ورد بها، فهي تتحدث عن تفسير رؤيا صاحبي يوسف في السجن، وخروج أحدهما منه فطلب منه يوسف أن يذكره عند مالكه عسى أن يفرج عنه.

ثانيا–الظن بمعنى :الشك،قال تعالى:﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ غافر : 36 ، ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً﴾غافر : 37 ، يدل السياق على أن الظن – هنا — بمعنى الشك ، لأن فرعون قد رأى من الآيات البينات ما يجعله عالماً بصدق موسى [97]، الذي جاء بمعجزات عظيمة وسلطان مبين، لكن فرعون تكبر واتّهمه بالسحر والكذب ، ثم جاء بالسحرة الذين ما لبثوا أن آمنوا حين أيقنوا أن موسى عليه السلام ليس ساحراً ، ومع ذلك استمر فرعون على كفره واستكباره . فضلاً عن أن السياق يصرِّح بأن الشك في آيات الله على الرغم من وضوحها ديدن الكافرين ، قال تعالى على لسان الرجل المؤمن مخاطباً فرعون وقومه: ﴿وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾غافر : 34.

فالفعل (ظن) لا يدل بمادته على معنى الشك أو اليقين، بل السياق هو من يمنحه ذلك. ويبدو أن المفسرين رأوا ضدية الفعل (ظن) من مراعاتهم لفكرة الآيات التي ورد بها . و لم ينظروا إلى المعنى الذي يقصده المتكلم ويفهمه السامع بمساعدة القرآئن اللفظية والحالية، فالفعل ظن لا يدل بمادته على معنى الشك أو اليقين والسياق هو من يمنحه ذلك.

الخاتمة:

ختم البحث بأهم النتائج التي توصل إليها، وهي على النحو الآتي:

– بين البحث أن العلماء العرب كان لهم دور رائد في دلالة السياق وظفوه في دراسة النصوص وتحليلها، ولكن لم يتح لهم أن يؤسسوا نظرية علمية في السياق، لأن اهتمامهم انصرف إلى الجانب التطبيقي أكثر من الجانب النظري في هذا المجال.

– أدرك علماء المسلمين القدامى مفهوم السياق بمعناه الاصطلاحي، وقدموا أفكاراً وممارسات سياقية متميزة،أكدها البحث اللغوي وأثبت جدواها في التحليل اللغوي.

- أثبت البحث أن لدلالة السياق أهمية كبرى في اختيار الألفاظ والصيغ، فلكل لفظ أو صيغة في القرآن الكريم دلالة خاصة يقتضيها السياق.

- أثبت البحث أنه لا يوجد ترادف في القرآن الكريم فدراسة الألفاظ المقول بترادفها في ضوء السياق ينفي عنها مظنة الترادف.

- أثبت البحث أن اللفظ لا يدل في السياق إلا على معنى واحد، فالألفاظ قد تدل على أكثر من معنى خارج السياق، لكنها لا تدل في السياق إلا على المعنى الذي يريده المتكلم ويفهمه المخاطب بمعونة القرائن السياقية.

الهوامــش:

1) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، الرسالة،107.
2) عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب،58.
3) اللغة، 231.
4) ينظر: العين، الخليل، 190/5.
5) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، 117/3.
6) ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة،183/9.
7) ينظر: الجوهري، الصحاح،340/1.
8) ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة،232/1.
9) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سوق،166/10.
10) عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي،85.
11) ابن فارس، مقاييس اللغة،5/6.
12) 2/ 160'159. وينظر: ابن فارس، المجمل، 112، 115.
13) ابن فارس، المجمل، 114.
14) ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي،170/9.
15) البيضاوي، تفسير البيضاوي،283/3.
16) ينظر: الألوسي، روح المعاني،218/10.
17) ينظر: الراغب، المفردات،409/4.
18) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة 2\41
19) ينظر: محمد محمد أبو موسى، خصائص التركيب،115'114.
20) ابن فارس، مقاييس اللغة، 5|101.
21) ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي،180/9.
22) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط،269/6.
23) ينظر: القرطبي، تفسير الفرطبي،176/9.
24) ينظر: فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة، 44.
25) ينظر: فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة، 44، 45.

26) الزركشي، البرهان في علوم القرآن،67/4.

27) ينظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل:275/1.

28) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 22/4.

29) ينظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل:96/1.

30) ينظر : ابن عاشور، التحرير والتنوير، 17/12.

31) ينظر : البحر المحيط 18/5

32) ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية 120،121 .

33) الكتاب، 24/1.

34) ينظر: ابن جني ، الخصائص،118/2.

35) السيوطي، المزهر، 402/1 .

36) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، 145.

37) أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، 310..

38) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 78/4.

39) ينظر: أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن،57.

40) ابن فارس ، مقاييس اللغة،93/2.

41) ابن منظور، لسان العرب، مادة رأى.

42) البغوي، معالم التنزيل،429/2.

43) الزمخشري، الكشاف، 324/2.

44) ابن فارس ، مقاييس اللغة،103/3.

45) ابن منظور، لسان العرب، مادة عوم، 431/12.

46) البحر المحيط، 315/5.

47) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 143/6.

48) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 44/1.

49) ينظر: فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، 314/2 ، 315 .

50) ينظر: فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، 316/2 .

51) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 184/2 .

52) ينظر: ابن منظور، لسان العرب،99/9.

53) ينظر: عبدالفتاح لاشين، صفاء الكلمة،65.

54) ينظر: أبو هلال العسكري ، الفروق اللغوية ،200 .

55) ينظر: السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، 485/3.

56) ينظر: السيوطي، الإتقان ، 195/1 ومعترك الأقران، 602/3 ، و ينظر: الزملكاني، البرهان، 91. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 35/3.

57) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 35/3.

58) ابن منظور، لسان العرب،154/1.

59) ينظر: ابن القيم، التفسير القيم،132- 133.

60) ينظر: عبدالفتاح لاشين، صفاء الكلمة،108.

61) ينظر: عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، 212.

62) ينظر: عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، 212 -214.

63) ينظر: السيوطي، المزهر، 369/1، وينظر: حسن ظاظا، كلام العرب، 102.

64) ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، 145، وينظر: أحمد فرج الربيعي، مناهج معجمات المعاني إلى نهاية القرن السادس الهجري، 64.

65) محمد سعد محمد، في علم الدلالة، 127.

66) الكتاب، 24/1.

67) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن،172/2.

68). ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ربب، 399/1.

69) ينظر: مقاييس اللغة، تح: عبدالسلام هارون، اتحاد الكتاب العرب، 313/2 - 314.

70) ينظر: الزمخشري، الكشاف 455/2.

71) ينظر: الزمخشري، الكشاف 445/2.

72) ينظر: الزمخشري، الكشاف 444/2.

73) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة،122/1.

74) الخطابي،ثلاث رسائل في إعجاز القرآن،تحقيق الأستاذ محمد خلف الله،والدكتور محمد زغلول سلام،القاهرة،د. ت، 36.

75) ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي،201/9، وينظر: الزمخشري، الكشاف، 449/2.

76) ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي، 335/16.
77) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة،161/4- 167.
78) الزمخشري، الكشاف،339/2.
79) ينظر: البيضاوي، تفسير البيضاوي، 152/4.
80) القرطبي، تفسير القرطبي، 420/1.
81) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة،22/1.
82) ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي، 10/9.
83) ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان،173/2-174.
84) ينظر: السيوطي، المزهر، 387/1.
85) بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، 99.
86) ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، 191، ومحمد سعد محمد، في علم الدلالة، 152.
87) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة،266/3.
88) ينظر: الأصمعي، الأضداد،30-31، وابن السكيت، الأضداد، 185، وأبو الطيب اللغوي، الأضداد، 392/1، السيوطي، المزهر،390/1، محمد نور الدين المنجد، التضاد في القرآن الكريم، 159.
89) ينظر: التحرير والتنوير،40/12.
90) ينظر: محمد نور الدين المنجد، التضاد في القرآن الكريم، 159.
91) ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ا/ 213.
92) ينظر: التوزي، 164، والسجستاني، 76-77، وابن الأنباري، 9، وأبو الطيب اللغوي،466/1.
93) أبو حيان، البحر المحيط، 377/7.
94) الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، ظن،539.
95). ينظر: الفيروز، أبادي، القاموس المحيط، ظن، 245/4.
96) ينظر: الزمخشري، الكشاف، 445/2.
97) ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي،315/15.